

الاسماء الثلاثة الاله، الرب، والعبادة

(39) و لم يكن آدم فحسب هو المسجود له بأمره سبحانه، بل يوسف الصديق كان نظيره، فقد سجد له أبواه و إخوته، وتحقق تأويل روياه بنفس ذلك العمل، قال سبحانه حاكياً عن لسان يوسف: "إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ" (يوسف|4). كما يحكي تحققه بقوله سبحانه: "وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا" وَ قَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا" (يوسف|100) و معه كيف يصح تفسير العبادة بالخضوع أو نهايته. إنَّه سبحانه أمر جميع المسلمين بالطواف بالبيت، الذي ليس هو إلا حجراً و طيناً، كما أمر بالسعي بين الصفا والمروة، قال سبحانه: "وَ لِيَطَّوُّهُ فَوَا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ" (الحج|29) و قال سبحانه: "إِنَّ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوُّهُ فَفَ بِهِمَا" (البقرة|158). فهل ترى أن الطواف حول التراب والجبال والحجر عبادة لهذه الأشياء بحجة أنَّه خضوع لها؟! إنَّ شعار المسلم الواقعي هو التذلل للمؤمن و التعزُّز على الكافر، قال سبحانه: "فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ" (المائدة|54). فمجموع هذه الآيات و جميع مناسك الحج، يدلان بوضوح على أن مطلق الخضوع والتذلل ليس عبادة. و إذا فسَّرها أئمة اللغة بالخضوع و التذلل، فقد فسَّروها بالمعنى الأوسع، فلا محيص حينئذٍ عن القول بأنَّ العبادة ليست إلا نوعاً خاصاً من الخضوع. و إن سُميت في بعض الموارد مطلق الخضوع عبادة، فإنَّما سُميت من باب المبالغة و المجاز، يقول سبحانه: "أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا" (الفرقان|43) فكما أن إطلاق اسم الاله على الهوى مجاز فكذا تسمية متابعة الهوى عبادة له، ضرب من المجاز.